دراسات ثورية

القرامطة

43

دراسة لحركات ثورية

القرامطة

القرامطة

الفهـــرس

الموضـــوع	الصفحـــة

مدخل

مـدخـــل

الكتابة عن الحركات التى اعتبرت ثورية وتوضيح مساراتها يعد ذا أهمية ذلك إن الحركات الثورية أو حتى الحركات ذات المدخل الثورى ، أريد من خلالها محاولة تغيير أوضاع سائدة .. ذلك أن التغيير الحقيقى لابد وان يشمل الكون والحياة وهو هدف نهائي للانسان نحو عالم سعيد .

والكتابة عن القرامطة تعتبر جانباً مهماً يجب الاطلاع عليه رغم كل الظروف السيئة التى خلفها القرامطة أنفسهم عندما كان ظاهرهم عكس جوهرهم أو مضمون الحركة مما أنهاها نهاية مأساوية وإنصرف الكتاب بعد ذلك بعيداً عنها ولم يتناولها إلا نفر قليلٌ دون مراجع ثابتة بالنقد والتحليل الغير علمى .

القرامطه .. الهدف



القرامطة .. الهدف

إن الكتابة عن القرامطة مرتبط ارتباطاً يكاد يكون عضوياً بالكتابة عن الصراع القومى بين العرب المسلمين ، وبين من يريدون زعزعة السلطان العربي من خلال المدخل — الاسلام —

لذلك فإن القرامطة أو القادة الأوائل للحركة القرمطية لم يكونوا ذوى علاقة بالعرب فقط جذبهم في البداية القرآن الكريم ودعوته إلى المساواة وجذبتهم أرض العرب التى كانت تزخر بالحضارات الانسانية والعلوم والثقافة والموقع الجغرافي المتوسط ... انها (أرض العرب) محط أنظار الحركات الاستعمارية فهناك الكثير من المغريات في الوطن العربي والتى جعلت ذوى روح المغامرة يسلطون أنظارهم صوبه . فالعقيدة — الاسلام — الواحدة التى كانت تجمع المسلمين هى التى اعتمدت عليها الحركة القرمطية في التحرك . بذلك لجأت هذه القوميات

المغلوبة إلى ضرب (القومية العربية) واعتماد الأساليب الباطنية لتحقيق أهدافهم السياسية والقومية تحت الشعارات الدينية التى تستهوى جماهير العامة من المسلمين الذين كانوا مشدودين إلى النبي / محمد صلى الله عليه وسلم بعاطفة قوية من الولاء والمحبة إلى درجة التقديس .

لذلك فإننا عندما نوضح عبارات تدلل على إيمان القرامطة فإن هذا يكون راجعاً فقط للشكل الظاهرى والدور التمثيلى الذى نجحوا نجاحاً باهراً في أدائه .

ولكن في كل الأحوال فإنه عند تكوين الدولة القرمطية برزت الأساليب التى كانت باطنية وأخذت مداها ، وهذا هـو سبب الشك الرئيسى في عدم مصداقية القرامطة فقد تحولت مـع الزمن الحركة القرمطية إلى مذهب دينى تحت مبدأ نظرية حق «آل البيت» بإمامة المسلمين بدأت في رؤوس مؤسسيها لأغراض سياسية وقد تكون استعمارية صرفة محورها ازاحة السلطان العربي حتى

ولو كان القرامطة عاجزين عن التصريح بذلك علناً في أى وقت .

إن التشيع والتمذهب أصبح منذ عصر الدولة الأموية . مأوى يلجأ إليه كل من أراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد وبهذا الخصوص فقد كتب المثقفون المسلمون الأوائل بعضاً من الكتب التى توضح دوافع القرامطة وتكشف أسرارهم لذا فإن القرامطة كحركة ثورية ظاهرية قد أثرت في المجتمع وفق مفاهيم ثورية لم تكن معروفة . وفي هذا كان لها حجة واضحة من الناحية الظاهرية حتى اتبعها الكثير من المسلمين إلا أن تكوين قومية على حساب الوطن العربي تحت ستار الدين نتيجة لمرحلة ضعف رآها القرامطة الأوائل القادمون من بلاد الفرس كانت غاية في الصعوبة .



بداية ظهور الدعوة وتنظيمها

بداية ظهــور الدعوة وتنظيمها

كما ذكرنا في المدخل فإن الشكل الظاهرى للقرامطة غير مضمون الحركة فأغلب الأحداث التاريخية التى سجلت **عن حركة القرامطة أكدت بأن أسبابها : صرخة احتجاج ونداء للمساواة والعدل وتطبيق الشريعة الاسلامية السامية وسمو الدولة الاسلامية فوق كل تشويه وفق نظام اشتراكى** كان هذا الشعار كافياً وحده لانضمام الناس إليها ، فالحركات الاصلاحية آنذاك كانت مفقودة ، فمرحلة إنحطاط الدولة الأموية وترهل الأوضاع السياسيةوالاقتصادية أدى ذلك كله إلى لفت انتباه المسلمين لهذه الحركة الاصلاحية والتى اعتبرت أول حركة ثورية في تاريخ الاسلام . ناهيك عن انشغال الأمويين والعباسيين بعد ذلك في أمور جانبية لاعلاقة لها بالدولة كنظام اجتماعى سياسياً واقتصادياً فقد هيئت هذه الأوضاع وغيرها بناء الحركة القرمطية **بناءاً سرياً قوياً منذ البداية** . فقد كان الدافع الأقوى

لبناء هذه الحركة وكما ذكرنا عوامل وأسس قومية ودينية .
الهـــدف الظاهرى للقرامطة والذى عرفه كـــل من عرف القرامطة منذ الظهور : **وقف الانحدار والتعصب والروح الانتهازية والتحزب المقيت الذى كان عامل صراع قوى ساهم في انحطاط الدولة الاسلامية** نتيجة صراع الأمويين ضد العباسيين الناشئين في وجه الأمويين للتو .

وبذلك كان بناء الدولة المسلمة القوية والقضاء على المذهب والتحزب والشرذمة الحاصلة في صلب الدولة الأموية وامتد حتى الدولة العباسية هى أقوى شعارات القرامطة وأقوى عامل ألهب مشاعر أعضاء الحركة المتجددين وفرق عملها التى أخذت تشكل في السر . وأقوى عامل وجه أنظار المسلمين إلى **القرامطة كحركة ثورية تقدمية .**

إن التاريخ الاسلامى يقف جاه موقفـــاً معادياً للقرامطة كحركة شوهت الاسلام حسب التعبير الشائع ، لذا لم يكن هناك تحديدٌ دقيقٌ لبداية القرامطة وخاصة أنها كانت حركة سرية منذ البداية إلى أن قويت واشتد ساعدها فخرجت علناً .

وفي كل الأحوال فإن سنة 208 هجرية هى أول سنة إذ أجمعت المعلومات التاريخية والتاريخ الاسلامى إن هذه السنة شهدت أول اجتماع للقادة القادمين من بلاد الفرس ليقرروا صيغة عمل في العراق شمالا ويبدأون مسيرة المشوار الطويل الذى أوجد مفاهيم ثورية آنذاك على الأوضاع المتردية السائدة وأول هؤلاء الدعاة هم : عبد الله ابن محمد وعبد الله ابن ميمون القداح وعبد الله ابن محمد والاهوازى.

ولما كانت هذه الدعوة سرية فإنه أصبح من الصعب جداً على الباحث تحديد ماهية هذه الدعوة بدقة ، وانتقل مقر الدعوة السرى إلى سلمية في 265 هجرية وهى منطقة بسوريا لبدء العمل .

وفي هذه العجالة لايهمنا كثيراً البحث عن تاريخ القرامطة كتاريخ لأفراده .

أولا : لأن هذا أصبح من الصعوبة بمكان .

ثانياً : فحتى ولو أوجدنا ذلك فإنه يكون إما منقولا مباشرة من كتابات سابقة أو وجود مغالطات لا تفيد .

ثالثاً : ليس هناك فائدة مرجوة من ذلك في هذا الوقت بالذات .

ونحن ندرس الحركة القرمطية من ناحية الدوافع وأساليب العمل الذى حقق أهدافها بغض النظر عن نوعية هذه الأهداف وبغض النظر كذلك عن التطور الذى رافق هذه الأساليب . كذلك ندرس القرامطة من ناحية الأبعاد السياسية وأثرهم في المجتمع الاسلامى والترسبات العقائدية لهذه الحركة . فقد سبقت القرامطة وكما هو معروف حركات دينية ولكن لم يكن لها تأثير مثلما للقرامطة ، لدرجة أنهم جعلوا من الفرق التى سبقتهم إسماً واحداً « القرامطة » .

كان التأثير على أساليب الدولة وخاصة العراق أول منطقة ينزل بها حسين الاهوازى كداعية بلغ مداه وفي سنوات معدودة مبلغاً كبيراً بحيث سهل إعلان الدعوة جهراً. فقد نزل حوالى سنة 265 هجرية الداعية حسين الاهوازى بعد اجتماع الدعاة واقرارهم صيغة العمل بمنزل حمدان

قرمط وأخذ يقدم للناس تعاليمه وتقشفه حتى كون فرقته السرية ، وفي نفس السنة كون مركزاً سرياً للدعوة في سلمية وانتشرت هذه الدعوة سراً بعد ذلك وبكل تأني ودقة في التنظيم رغم التشدد الذى قامت به الدولة الأموية في مواجهة قطاع الطرق والعباسيين الذى يستعدون في تلك الفترة للانقضاض على الأمويين . لقد استغل القرامطة جل الحركات الخارجة على الأمويين والمطاردين من قبل الدولة الأموية والتجمعات البدوية.وبعد ذلك انقسم القرامطة إلى ثلاث فرق رئيسية :

الفرقة الأولى : قرامطة السواد (العراق) .

الفرقة الثانية : قرامطة البحرين أو الخليج العربي.

الفرقة الثالثة : قرامطة الطيف وسوريا .

كانت المؤسسات الاجتماعية تفتقر في ظل الدولة الاسلامية آنذاك الى اصلاحات آنية ، فأستغل القرامطة هذه المسألة استغلالاً أمثل ، فوضعوا ترتيبات تعمل على نهوض هذه المؤسسات من خلال مساعدة الناس في الوقت

الذى عمد فيه القرامطة اسناد هذا العمل الاصلاحى إلى مفاهيم القرامطة وجملة العقائديات الخاصة بهم ، فكان التأثير بالغ الحدة وخاصة من خلال النواحى الدينية فعدم اهتمام الدولة ببناء المجتمع وفق الصورة الاسلامية ، ناهيك عن غياب العلمية في كثير من القضايا الاقتصادية ، والتكوين الطبقى الرهيب للدولة الأموية . فهذه النواحى وغيرها ساعدت بل حركت المسائل في صالح انتشار القرامطة كمفاهيم عادلة .

ولهذا عمل القرامطة منذ البداية على رسم صورة واضحة لنظام الألفة والاخاء . . نظام المجتمع المسلم القوى في وجه التكتلات المذهبية والذى يكون خالياً من التحزب ، فكونت هذه الحركة مجموعات وفرق عمل — خلايا سرية — من ثقاة الدعاة فأفاقت في اعدادها المحكم وتنظيمها الدقيق المتقن في مجالات الجذب المبنى على تفسير دقيق للقرآن الكريم كل التنظيمات السابقة لها .

لقد فاق القرامطة كل الفرق ، وكما ذكرنا والتجمعات الاسلامية رغم الامكانيات الصعبة وفي ظل جو مشحون

بالترقب من قبل الدولة الأموية . ولكن التخطيط الذى وضعه القرامطة وحكمته كان كافياً على المستوى المرحلى لتمكينهم داخل الوسط الشعبى . فاستغلال حالة الضعف الذى ساد الدولة الأموية ، وكذلك استغلال حالة الفقر والعوز كانت كافية لارساء قاعدة شعبيةللقرامطة على الأقل في القرى النائية والتى كانت أماكن تجمع الرحالة والتجار وقطاعى الطرق والفارين من وجه الدولة الأموية .

التوسع فى نشر الحركة ومبادئها

التوسع في نشر الحركة ومبادئها

كانت أرض اليمن هى الموقع الثاني الذى انتشر فيه القرامطة . وفي هذه الفترة أى عام 280 هجرية . كان العباسيون قد قضوا على الأمويين وتولوا الخلافة . وما زال القرامطة لم يعلنوا عن الحركة علناً . إلا بعض الأخبار المتناقلة دون تأكيد على أن هناك خطراً يهدد الدولة العباسية من قبل حركة تدعى نفسها « القرامطة » فخرج إلى اليمن تحت التكتم يحيى بن الحسين أحد الدعاة سنة 280 هجرية وكذلك لحقه بقية الدعاة المكلفين مثل حمدان القرمطى ، ويقال إن القرامطة سموا هكذا نسبة إلى الأشعث حمدان لأنه كان قصيراً وداهية في التخطيط . كان أغلب الناس أى الذين استهوتهم افكار الحركة القرمطية في الحكم والنظام الاشتراكى والذى سعوا « ظاهرياً » إلى إقامته — مزيجاً من ملحدين لا يدينون في واقع الحال بدين ومن قطاع الطرق الفارين من ظلم الأمويين وكذا أيضاً البعض من العباسيين . فأصبحوا في الحركة القرمطية قادة قادرين على معرفة تحرك الدولة العباسية تجاه أعدائها . وكانت

أرض اليمن والبحرين أكبر منطقتين جند من خلالها الناس وانضموا إلى القرامطة . كانت أولى ترتيبات القرامطة بالنسبة للوضعية التى سيكون عليها العناصر الجديدة هى : سمع الارشادات وإطاعة الأوامر والتنفيذ بدقة والتقيد تماماً بما يمليه الجهاز السرى للحركة . الذى يتكون من الآتي من أعلى إلى أسفل في شكل هرمى دقيق :

الامام
داعى دعاة
داعى مطلق
داعى مأذون
داعى محصور
جناح أيمن وأيسر
مكاسر
مكالب
مستجيب

وكانت هناك شيفرة في التعامل من خلال تناول المعلومات بحيث يكونون في مأمن من الدولة الحاكمة وأول

من استعمل هذه الشيفرة هو عبد الله بن ميمون القداح مؤسس الحركة القرمطية الفعلى وقد صنف الرسائل وفق مثال لهذه الشيفرة :

ع ب د　　ال ل ه　　م ح م د　　— عبد الله بن محمد

427　　5331　　4484　　— عبد الله بن محمد

ولهذا كان نظام الاتصال وبهذه الطريقة كافياً في ذلك الوقت للمحافظة على أسرار الحركة .

إلا أن الخبر الأكيد بالنسبة لظهور هذه الحركة في العراق جاء عندما انس القرامطة في أنفسهم القوة الكافية للبدء في العمل العلنى . ففى سنة 278 هجرية تناهت إلى العاصمة بغداد أولى أنباء تحركات القرامطة ، وفي تلك السنة بالذات عرف أن هناك حركة « ثورية » تهدف إلى قيام النظام الاشتراكى الاسلامى .

إن هناك الكثير من الخطوات الدقيقة التنظيمية للقرامطة قبل البدء في التحرك العلنى ساعدت في كل من البحرين والعراق على نجاح القرامطة .

أولا : ـ هيئوا أنفسهم في شكل خلايا سرية يشرف على كل مجموعة تقى ومثقف ذكى . للقيام بالاستقطاب وكانت كل خلية تركز في بداية الحركة على الاستقطاب دون اللجوء إلى ممارسة العنف . كانت خطط هذه الحركة تقتضى إستقطاب المسلمين بوسائل منها قضاء القرامطة على أصحاب النفوذ . تقسيم ثروة البلد على الأسر الفقيرة بالتساوى .

ثانياً : كل مجموعة أو خلية عمل سرية تتحرك داخل الوسط الشعبي الذى تعيش فيه وتعرفه دون اللجوء إلى التحرك في وسط آخر غير معروف لديها . فالتحرك كان يقتضى لدى كل حركة هو معرفة وتشريح الوسط ، ومعرفة من المستهدف وغير المستهدف . فرجال الدولة كانت لديهم أساليبهم الخاصة للظهور بمظهر الناسك قصد معرفة القرامطة

ثالثاً : إن ضعف الدولة العباسية بعد خروجها منتصرة على الأمويين وتفشى التطاحن بين التكتلات الاسلامية وعدم الاهتمام بأحوال القرى سياسياً واقتصادياً ساعد أيضاً في

قلب النقمة ضد العباسيين الأمر الذى جعل ممارسات القرامطة الخاطئة تندثر من ذاكرة المسلمين .

رابعاً : ذكاء أفراد هذه الحركة والروح والعزم الأكيد على أن تنفذ كل مجموعة برنامجها في الاستقطاب بكل دقة .

خامساً : توزيع الحركة داخل الأوساط الاجتماعية المسلمة الفقيرة والمتضررة من حكم العباسيين في أرض اليمن والبحرين وشمال شرقي العراق .

سادساً : اتخاذ القرآن الكريم منهاجاً لهذه الدعوة ووسيلة استقطاب ضامنة للنجاح .

وإضافة إلى هذه النقاط فان هناك تحفظ شديد من قبل أعضاء هذه الحركة حول أسباب قوتها ونجاحها في الاستقطاب السريع وأولى أسباب هذا التحفظ هو : أن العمل التى أكدت الحركة القرمطية القيام به ليس بسهل فواجب كل فرد وخلال القيام بالأعمال السرية المحافظة على سر هذه الحركة وعدم البوح به إلا بعدما يتم التأكد من مصداقية الفرد الجديد .

ظهور حركة القرامطة علنا



ظهور الحركة القرمطية علنا :

في منتصف القر ن الثالث للهجر ة فقط ظهرت هذه الحركة علناً وللمرة الأولى فأدرك الناس في العاصمة بغداد أيام الوالى المعتضد ان القضية جـــدية وبدأوا يتساءلو ن .. من هم القر امطة ؟

وكما هو معروف فإن القرامطة لم يكونوا قبل ذلك معروفين فكل أساليب الاستقطاب تمت في السر حتى أن أصل هذه التسمية كانت تعنى (قرمط) العمل السرى وعلى هذا الأساس يكون معنى القرامطة : « الباطنية » أى السر الداخلى الباطن وناهيك عـــن اللفظ اللغوى فإن قرمط تعنى التقارب ويقال : قرمط الرجل في مشيته أى قصر في خطوته وجعلها قصير ة ضيقة .

ولهذا فإن الناس كانت مشدودة إلى هدف هذه الحركة ... ماذا يريـــد القرامطة ؟ وكذلك فان السؤال الأكثر الحاحاً ... إلى من ينتسبون ؟

فرغم أن أغلب قادة هذه الحركة . منذ البداية كانوا

معروفين معرفة كبيرة في الدولة العربية المسلمة فكانوا اما ثوريين خارجين عن قانون الدولة التقليدى أو اتقياءورعين أو زهاداً في الدين يحب أن يكون الخير للجميع ويهدفون إلى : إقامة الدولة المسلمة الواحدة والقيام بالواجب في ذلك والذى عجزت الدولة العباسية وقبلها الأموية على القيام به .

الأمر الذى شد حتى بعض القبائل العربية التى تدفقت على بلاد الرافدين مثل قبائل : كلب ، وطىء وفزارة ، وأسد وعقيل ، وقشير ، وكلاب . وخفاجة وكانت هذه الهجرة لها فائدة كبيرة على نجاح الحركة القرمطية لأنه وكما نرى أن رجال هذه الحركة هم موزعين بين هذه القبائل وغيرها من القبائل العربية القاطنة بالرافدين وما حولهما .

فقدمت بذلك هذه القبائل المادة البشرية المعادية والمتضررة بطبيعتها من الدولة العباسية نتيجة لحالة الضعف الذى ساد الدولة العباسية وكانت أرض الشام والجزيرة مواطىء هذه القبائل بعد ذلك ، مما ساعدت انتشار الدعوة القرمطية .

كانت فكرة قيام الكيان القرمطى تسير عكس الحركة والاستقطاب ، ففى الوقت الذى كانت الحركة القرمطية السرية قد عمت كافة البلدان والقرى الاسلامية إلا أن قيام الكيان أو الدولة القرمطية كان مركزاً في منطقـــة أو منطقتين مبدئياً ولهذا فإن القرامطة أول ما عملوا على ايجاده قبل إعلان الحركة جهراً ايجاد موقع ثابت فبعد أن درسوا أوضاع الدولة العباسية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية استطاعوا أن يرسموا صورة المجتمع العباسى وبواطن ضعفه بكل دقة لذلك استطاع القرامطة رسم صورة المجتمع الجـــديد ـــ الـــدولة الاسلامية الاشتراكية ـــ بكل دقة وعلمية .

إن دراسة الأوضاع العباسية أتاحت للقرامطة معرفة الصورة الواضحة للتناقض الكامن في المؤسسات العباسية .. التضارب الحاد بين مصالح الأفراد .. بين الغنى والفقير .. بين القوى صاحب السلطة المقربة من العباسيين هذا بظلمه وتعسفه والضعيف بحرمانه من حاجاته .. بين التاجر واستغلاله وجشعه في جمع المال من عرق العامل والفلاح

وكنزه لتبذيره في سبيل الشهوات ... بين استبداد الحكام بالضعفاء والفقراء معاً وبلا حدود في ظل الدولة العباسية وظلم ذوى السلطان من خلفاء وأمراء للمستضعفين من عباد الله وعبودية هؤلاء الخلفاء والأمراء للشهوات والأهواء اعتبارهم أموال الدولة (بيت مال المسلمين) ملكاً خاصاً لهم يسرفون في انفاقه وتبذيره على القصور والملذات دون التفكير في حالة الفقر والجهل والمرض الذى ساد المجتمع بقسوة .

عندما درس القرامطة هذه الحالة لم يكن أمامهم وهم أصحاب الهدف القويم في حركتهم إلا تطبيق نظام المحبة والألفة الذى قوامه الاشتراكية .

اضف إلى ذلك فإن اختلاف المذاهب والتصادم الظاهر الحاصل بين مذهب وآخر والابتعاد — حسب مايراه القرامطة — عن روح القرآن الكريم واختلاف المعاني بين المفسرين واختلافهم على أسرار الدين حسب ما يراه المذهبيون وكذلك ما نتج بين المقلدين والمتبصرين بعد ذلك واختلاف الأئمة كالذى بين الشيعة ومنها ما

اختلاف عليه بعد ذلك . كل هذه المظاهر كانت نقاط حساسة للغاية في المجتمع المسلم ... وكانت هدفاً كافياً في ذلك الوقت لأن يكون عامل استقطاب قوى .

قال عبد الله بن ميمون القداح وهو أحد الدعاة الثقاة في بداية الدعوة في جلسة عمل لمناقشة هذه القضايا : إن مسألة الامامة والخلافة سبب من أسباب ضعف وتفرق المسلمين .

وقال في تلك الجلسة حسين الاهوازى وهو من كبار الدعاة : لقد كثر القيل والقال والكذب في مسائل هدامة هى : الخلافة اللاصحيحة المصحوبة بالعداوة والضغينة والبغضاء فجرت بين طالبيها الحروب وسالت الدماء وضعفت الدولة ـ الأمة العربية الإسلامية وأبيحت بسببها الأموال وهى في هذا ذاهبة بالمسلمين إلى التفرقة .

ونحن لا نبعد الخليفة الصالح في أمة النبى محمد بعد وفاته أو وفاة كل خليفة إذا كان هذا الخليفة حافظاً للشريعة شريعة هذه الأمة ويحيى السنة في الملة كما هى دون تأويل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيرجع إليه الفقهاء

والعلماء إذا اعترضتهم أية مشكل ديني أو سياسي حيث يرشدهم إلى العدل والحق .

قال الاهوازى أيضاً : نعمل بقول الله تعالى : « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » إن الصورة العامة التي جمعها الناس عن القرامطة بعد ذلك كانت كافية لأن ينضم إليهم كل فرد عاني كثيراً من مساوىء الدولة الأموية والعباسية . والحركة القرمطية لم تكن نظرية في هذه الجوانب ، بل كانت عبارة عن مفاهيم إشتراكية حيث اتفق الدعاة في كل قرية أو مدينة وضع خطة للتنفيذ وخاصة فيما يخص الجوانب المهمة حيث كانت الحركة قد اعتمدت بعد اللجوء إلى التطبيق والظهور وفق مبادئها جهراً الى البدء بالتنفيذ سواء أكان هذا بعيداً عن عيون الدولة العباسية أو التطبيق في المناطق التي كانت لهم فيها مراكز قوى بحيث سيطروا عليها واحكموا زمام أمرها مثل البحرين حيث تعتبر أول موقع تأسست فيه الدولة (القرمطية) .

حيث أقام الدعاة وفق الخطة في كل قرية رجلا

مختاراً من ثقاتها يكلف بجمع كل ما يملكه أهل القرية من ماشية وحلى ومتاع وما اليها وبالمقابل كانت لجنة الدعاة بقيادة مشرفها توفر الكساء للناس والطعام ما يكفى كل أسرة من أهل القرية الواحدة حتى لم يبق فقير واحد قط من المستجيبين أو أهل القرية التى استجابت للدعاة .

كان كل داعية يعمل بكل جد ومثابرة ومنافسة لاستحقاق الشرف عن طريق المنافع التى يقدمها للناس من فقراء ومظلومين ، وبالتالى يكون هذا منفعة للحركة وأهدافها . فكانت النساء المنتميات لهذه الحركة يعملن وفق جهدهن بحيث يقدمن مع نساء القرية ثمرة جهدهن . وكذلك الشباب ... كانوا يدفعون أجرة حراستهم الحصاد من العصافير . لم يعد أحد منهم يملك شيئاً سوى إيمانه بالدعوة .



دوافع اعلان القرامطة عن دولتهم

دوافع اعلان القرامطة عن دولتهم :

إضافة إلى ما سبق ذكره فإن كان لدى القرامطة كثير من التعليلات التى اتخذوها للمناورة في وجه الدولة العباسية من جهة ولكسب المؤيدين من جهة أخرى .

فالمناورات نفسها التى اتخذها العباسيون حجة للاطاحة بالأمويين استعملها القرامطة ضد العباسيين . فعندما لم يحقق الأمويون العدل ولكى يتمكن العباسيون من هزيمة الامويين أثاروا قضية حقوق آل البيت غير المنازعة في الخلافة . مما جعل الناس ينصرفون إلى تأكيد قول : ان الامويين مغتصبون للسلطة . ولم يفت القرامطة ان يطبقوا هذا المبدأ على العباسيين ، لذلك لم يصعب عليهم أن يوحوا إلى الناس وخاصة الذين تضرروا وكما ذكرنا من حكم العباسيين وكذا الامويين قبلهم وخاصة في مناطق قطيف وسلمية التى تضررت من جراء التطاحن بين العباسيين والامويين وأهلك أهلها يوحوا الى الناس بأمل ولادة المهدى المنقذ في بيت على ، ولا أن يتلمسوا بشرى مجيئه . بالتأويل من القرآن الكريم نفسه .

لقـــد انتصر القرامطة في ذلك على إدانة التفسير للقرآن الكريم فرأوا ان هذا التفسير خاطىء فرفضوا المبادىء المبنية على ذلك (التفسير) . ومن هنا كانت بعض الكتابات حول القوامطة تصفهم بأنهم ضد الدين أو ما شابه ذلك للدرجة انهم نسبوا سرقة الحجر الأسود من الكعبة من قبل بعض اللصوص في تلك الفترة الى القرامطة والذى يتأكد من كتابات الطبرى وغيره وكما ورد في كتاب مصطفى غالب «القرامطة بين المد والجزر» فانه يشار إلى أن أحوال القرامطة في تلك الفترة لا تسمح بالوصول إلى الكعبة وسرقـــة الحجر وبخـــاصة في تلك الفترة . فقـــد تبادر الى اذهان الدولة العباسية ان القرامطـــة ضد العباسيين وينوون الاطاحة بهم . . . اذن لابد وان يكون العباسيون قـــد ركزوا جهدهم حول مواقع قـــوة دولتهم للدفاع عن كيانهم على الأقل ونضيف انه في تلك الفترة مازال القرامطة لم يركزوا عملهم المادى إلا على المنـــاطق التاليـــة : «قطيف — البحـــرين — سلمية» وهذه المناطق كانت بها مراكز دعوة قوية لهم

وجانب آخر ، فإن أغلب هذه المناطق تقع في الصحراء على الطرق الفاصلة والطويلة .

وحتى وان سلمنا بسرقة الحجر الأسود فإن هذا أتي بعد انتهاء الرمز للحركة القرمطية (انتهاء القادة الأوائل) . الذين لم يخلفوا لأتباعهم أى اجراءات عملية واضحة ومحددة للتطبيق عدا تلك الشعارات التى ألهبت مشاعر الناس منذ البداية .

وواضح أيضاً أن القرامطة كانوا يرفضون بعض الشعائر الدينية المتفرعة عن التفسير في الوقت الذى كان العباسيون قد استعاضوا عن بعض الشعائر الدينية الأصلية بالسلطة المذهبية للدولة العباسية . فالامام كان له حق الرفض والتأويل في بعض الجوانب وهى مرفوضة من قبل دعاة القرامطة لأن الامام سلالة العباسيين المالكة والحاكمة كان ميالا إلى إيجاد مذهب خاص به ويعرف هذا الامام من خلاله .

إن هذه القضية الحساسة وخاصة معارضة سلالة العباسيين

في الحكم أعطت دافعاً قوياً للاستقطاب فالناس قد ذاقت المر من حكم الأمويين والعباسيين .

ومن بين الأسباب التى قوت شوكة القرامطة في المناطق سالفة الذكر وسيادتهم عليها بعد ذلك . كانت ثورة الزنج والتى اجتاحت بلاد البصرة لمدة تتجاوز خمس عشرة سنة ، فنتيجة للفوضى والاضطرابات التى حصلت في جنوب العراق بكامله .

تمكنت الدعوة من تنظيم المستجيبين في الأمكنة كلها وخاصة التى يتواجد بها الثوار الزنوج وأتاحت نهاية ثورة الزنج ضد الدولة العباسية حرية وافرة للتحرك في الوقت الذى لم تفكر الدولة العباسية آنئذ باتخاذ تدابير جدية ضد ثوار القرامطة . ويروى أغلب المتحدثين ان الدولة العباسية كانت ترى في بداية القرامطة بأنهم عبارة عن صعاليك بدو ما يلبثوا أن ينتهوا عندما يقابلون شرطة الدولة أو كتيبة من جيش الدولة ، إلى درجة ان أحمد بن محمد الطائى الرجل الذى يوصف بالقوة والذى

عين والياً على العراق الغربي في العام 269 هجرية قد فرض جزية قدرها دينار واحد على كل من أراد الخروج علناً والإنضمام إلى الفرقة (القرامطة) وجمع بذلك أموالاً طائلة . إلا إن غرور أحمد بن محمد الطائي سهل الطريق أمام تقدم القرامطة . فحذر بعض الـولاة كوالى بغداد بأن القرامطة غير ما يتوقع أحمد بن محمد الطائى .

كان الصراع على أشده بين العباسيين الذين تسلموا الخلافة الإسلامية بعد القضاء على الأمويين في بلاد الشام وبين العلويين من آل بيت النبى – عليه السلام – والذين اعتبروا هم أيضاً ان العباسيين مغتصبين للسلطة لذلك انتهز القرامطة هذه الفرصة بعدما آنسوا في أنفسهم الكفاءة القتالية إلى جانب عنصر التنظيم فهاجموا في العام 278 هجرية ضاحية هجر عاصمة البحرين آنذاك حتى اقتربت طلائعهم من أراضى البصرة فأنفذ واليها سعاته للحصول على التعزيزات من العاصمة العباسية . وعند أول إنتصار للقرامطة اخذوا يعملون بجد على إحاطة قطعة أرض شاسعة بأسوار

عـالية بمـقر الحـركة فيفصلون مختلف المـواقع بحوائط عالية وقتيـة ثم يركنـون مـدة معينـة قصـد التنظيم والخطة ثم يزحفون وهلم جراً .

※ الانتفـاضات الثورية ※

الانتفاضات الثورية

كان هدف الثورة الثانية للقرامطة بعد إرساء دعائمهم بسواد الكوفة بالعراق بالبحرين ضد الدولة العباسية . إنهاء العباسيين بأى طريقة فأخذوا يقومون بانتفاضات في القرى القريبة من عاصمة العباسيين ويوهمون رجال الدولة بتحركات بعيداً عن نجاحاتهم في البحرين حتى بنوا سداً منيعاً في مواجهة الأعداء فبنوا داراً حصينة في رأس جبل ساعدت على إنتصارهم .

وعندما إستقر عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية في افريقيـــة – تونس – مدينـــة المهديـــة نسبة إليه إتخذ داراً لكى يجتمع فيها مع الذين افتتنوا به وهم قرامطة المغرب الذى لم يحس أحد بوجودهم والذين أنتحلوا الإنتساب لفاطمة الزهراء بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم . مما عمد على تقوية نفوذهم ومكن الاعتراف بهم .

فأشاعوا المذهب القرمطى في كل مكان يحاون به حتى عمت البلدان العربية الاسلامية بهم وبأخبارهم التى **تعتبرهم دولة اشتراكية اسلامية .**

كان القرامطة في كل إنتصار يعقدون إجتماعاً يزودون فيه عناصرهم بالتعليمات وبالإرشادات ورفع معنويات المحاربين ورفع المستوى العلمى بأهداف القرامطة وكان القرامطة في كل إنتصار يطبقون نظام الالفة الذى أحسنوا تنفيذه وتطبيقه في شكل اشتراكى ويمكن تلخيصه بما يلى : —

1 — السيطرة الفعلية على كافة الأراضى والملكيات الزراعية والصناعية وجعلها تخضع لإشراف أفراد وعائلات القرامطة (**المجتمع القرمطى**) .

2 — يدفع كل عضو جديد إشتراكاً شهرياً .

3 — العلم والمعرفة للجميع .

4 — الدقة التامة في إختيار الدعاة .

5 — تضحية الفرد الجسدانية في سبيل إصلاح اخوانه وتقويم إعوجاجهم .

6 — إشتراك المرأة مع الرجل في الدعوة بعد إعطائها حقوقها ومساواتها مع الرجل

7 – السرية التامة وعدم الاحتكاك بالتنظيمات الاخرى .

8 – تنمية روح التعاون والمحبة بين الافراد باستمرار وعند كل إجتماع الذى يأتي بعد كل إنتصار .

عندما أخذت إنتصارات القرامطة تتوالى **أطلقوا على أنفسهم [المنتصرون بالله والعاملون على نصرته]** فلم يتوقفوا يوماً عن زحفهم رغم المصاعب التى واجهتهم أثناء الزحف وخاصة من خلال مدن العراق وأثناء الرحلات بين اليمن والعراق .

فرغم كل هذا فإن القرامطة أصبحوا في يوم ما الأمل المرتجى للفئات الفقيرة وللجماهير الكادحة والمظلومة لانهم جسدوا احلامها بتوفير العدل والمساواة والعيش الكريم .

كان الصراع طويلاً على السلطة في مدن العراق في محاولة لتسلم القيادة من الدولة العباسية حتى تحقق للقرامطة ما كانوا يحلمون به حتى ولو لم ينتصروا إنتصاراً كاملا .

وعندما تحققت الإنتصارات للقرامطة على الصعيد العسكرى والفكرى ولم يوفق الحظ الدولة العباسية في الكوفة والبحرين أخذوا يطلقون على القرامطة إشاعات للحد من الهيبة ومثل هذه الإشاعات يعرفها كل دارس للتاريخ الاسلامى وما فيه من مغالطات أدت عواملها وتفاعلاتها إلى إخفاء الكثير من الحقائق واظهار المزيد والمزيد من المساوىء بهدف ابعاد الناس عن الحركات الثورية آنذاك من قبل السلطة الحاكمة فما كان من تاريخ اليوم أن عكس ما في جعبة الكتب القديمة الخاطئة إلى حد كاف بحيث خلف وراءه رزنامة من التشويهات سواء أكانت حقاً مشوهاً أم خطأ مشبعاً بالزيف .

فالقرامطة لا يعدو كون تاريخهم : **حركة سياسية ارادت قلب كثير من المفاهيم السائدة** فاستطاعت ان تعطى معنىً للحركات الثورية آنذاك بالرغم من الباطنية لهذه الحركة . وان عدم وجود نظرية ذات معالم محددة ناهيك عن بعض المساوىء التى خلفها القرامطة أو الممارسات التى ما انفكوا يمارسونها حتى نبذها المسلمون .

هذه كلها وغيرها عوامل أدت إلى هزيمة القرامطة بعدما كونوا دولتهم في البحرين وسواد الكوفة بالعراق .

لقد كانت إنتصارات القرامطة وتكوين دولتهم من الناحية العسكرية والسياسية راجع إلى :-

أولا : دقة التنظيم .

ثانياً : قوة ومقدرة الرمز مهما كانت السلبيات التى هى في جوف التنظيم كالهرمية والقدسية والتزمت .

ثالثاً : الشعارات التى رفعوها كانت غاية في الأهمية فوجدت صداها في قلوب المسلمين إلا أن التشرذم والفردية في التصرف والظهور في كثير من النواحى الإجتماعية (الدينية) عند التطبيق كانت كافية لأن تساهم في إختفاء القرامطة .

رابعاً : تعلق القرامطة بالرمز وتقديسه واحاطته بهالة من الزعامة جعلت نهايتهم تتعلق بنهاية الرمز ذاته.

اسبـاب نهايـــة القرامطـــة
كدولة سياسيا وعسكريا



اسباب نهاية القرامطة ـ كدولة سياسيا وعسكريـا

لقد ذكرنا سابقاً بأن أهم العوامل التى جعلت شوكة القرامطة قوية هو أن الدعوة استهدفت انضمام عناصر متفرقة .

بحيث ضمت الحركة قبل الظهور إلى الوجود مباشرة أغلب الفرق الإسلامية والقبائل التى كان لها تأثير ناهيك عن انضمام الفقراء والفلاحين والكادحين نتيجة المذهب الاشتراكى .

إن هذه الصورة من التنظيم استمرت حتى بعد الظهور وتكوين الدولة الإشتراكية القرمطية بفترة طويلة .

إلا أن هذه الكيفية سرعان ما تلاشت بحيث أخذت الدولة بتركيز حكمها في أفراد وفق أسلوب الوراثة أو نظريـــة الخلافـــة مما صرفها الى الإبتعـــاد عن المذهب الإشتراكى ولأساليب أخرى في الحكم كان لها الفضل في نجاح القرامطة .

ناهيك عن اتخاذ أسلوب مهادنة وخاصة منذ تولى أحد الدعاة واسمه أحمد حسين فأتخذ هذا سياسة احتراس ومهادنة ومفاوضات ديبلوماسية مما أتاح الفرصة للفاطميين معرفة نقاط الضعف وإرسالهم بعد ذلك جيوش جرارة لإنزال الهزائم بالقرامطة مما يسر على الفاطميين ملاحقتهم في مصر وتونس والعمل على انهائهم وفق خطط مدروسة .

ومنذ تلك الفترة الى (منتصف القرن الرابع الهجرى) أخذت الحركة الثورية القرمطية في الافتقار إلى ثوار أجلاء في منزلة ومستوى مؤسسيها الأولين من ناحية الحنكة والثقافة والتدبير وافتقارها للأساليب العلمية بعد ذلك

لذلك ما عاد القرامطة أولئك الرجال الاشداء القادرين على التصرف الموهبين بحب المغامرة والترابط الأخوى الشيء الذى جعل هناك عوامل هدم داخل الدولة القرمطية قبل محاولة الالتفاف عليها من الخارج .

* التآكل الداخلى لدولة القرامطة *

التآكل الداخلى للدولة القرمطية

أول سبب للتآكل الداخلى للدولة أو الحركة القرمطية كحركة ثورية من أنها استقطبت في السابق جماهير عريضة هو تسلسلها الذى وضع نظرياً في السابق ثم ما لبث ان طبق .

وهذا التسلسل الرهيب هو : —

1 — الامام عالى الهمة وهو يمثل القيادة المطلقة الغير قابلة للنقاش وعدم الالتصاق به أو التحدث معه إلا بصعوبة بالغة واذا حصل هذا فإن الذى يناقشه هم أقرب الناس اليه أو الوزراء .

2 — يأتي بعد الامـــام نائب الامـــام وقد سمى الحجة وله اليد المطلقة في تفسير الامور ومسئول عن مؤلفات الدولة الثقافية وحركة الانضباط .

3 — داعى البلاغ وهو لا يناقش حتى في تأويل البلاغات والأوامر .

4 — داعى الدعاة وهو رئيس المبشرين والداعين .

5 ــ الداعى المطلق ، وهو صاحب صلاحيات مطلقة في التصرف بالدعاة حتّى درجة التجريم .

6 ــ الداعى المأذون يخضع في تصرفه للذى سبقه .

7 ــ الداعى المحصور وهو مسئول أمام الداعى المطلق .

8 ــ **الجناح الايمن والجناح الايسر ولهما اليد الطولى** في الاقاليم دون رقابة من قبل الدولة . وهناك الكثير أيضاً من التسلسل حتّى المستجيب وهو أقل رتبة في الحركة .

أخذ القرامطة آخر أيام الدولة يعللون القرآن الكريم بالتأويل ، فكلما تصرفت الدولة تصرفاً خاطئاً ذهبوا الى تأويل القرآن وفق مصطلحات يروا فيها قناعة وحجة للناس .

فكان من بين ما أوله القرامطة ... أن محمداً ــ عليه الصلاة والسلام ــ أرسل إلى قوم بدو أميين يسكنون الصحراء ولا يدركون ما في هذه الحياة من جمال ولا يستطيعون إدراك روحانية الحياة الآخرة وعبارات

القرآن بما فيها من صور حسية لا تتناسب مع فهم أولئك القوم وينبغى لمن هم أرقى علماً ، تأويلها وفي هذه النقطة تكالب المسلمين على رجالات القرامطة والدولة وقوانينها وأنه لا يجوز بأى حال تأويل القرآن وتحويله إلى ألغاز ، فالقرآن واضح ولا يحق لأحد تأويله . إضافة إلى ذلك
لقد أحاطوا القرامطة (الدولة ومؤسساتها) بهالة وبتقديس للامام ورجالاته الأوائل المذكورين سابقاً ، واعتبروا أن السبعة الأوائل من التسلسل السابق هم المعنيون وحدهم فقط ، بكل شيء وان كلامهم يعتبر بمثابة امر لا قدرة لاحد على مخالفته وخاصة بعد موت الاهوازى والقداح ميمون بن عبد الله مؤسس الحركة القرمطية ، فالإمام أصبح هو الذى يملك صلاحيات توريث الإمامة لإبنه من بعده

وما لبث القرامطة وخاصة في الفترة الأخيرة من حكمهم أن تأثروا بنظرية « الحلول » أو ما يسمى عند بعض الطوائف باسم « حلول اللاهوت » وهى تقترب من هذا الى حد كبير من نظرة النصارى الى النبى عيسى بن مريم عليه السلام ، ويقولون في هذا إن أئمتهم حلت

فيهم شخصيات الأنبياء السابقين ، وكتب ابن منصور زعيم القرامطة في اليمن قبل نهاية القرامطة كتاب عالج فيه قضية التأويل الباطن «موجود الكتاب بجامعة لندن» للزكاة ويبدو انه تم تأليفه في زمن المعز لدين الله الفاطمى حاكم مصر وهو الذى بنى القاهرة .

إن مثل هذه المسألة كانت حساسة لدى المسلمين بعدما ذاقوا الأمرين من جراء المذاهب والانقسامات فخرج المسلمون إلى الامام في بغداد يشكون هذا ، مما جعل الامام يؤكد على انهاءهم بأى صورة .

تأكد لدى كثير من الذين كتبوا عن الحركة القرمطية إن هناك شعائر خاصة بهذه الجماعة وهى لا تمت للمسلمين ولاالعرب بصلة . فقد كان قادة القرامطة الأوائل أغلبهم ليسوا عرباً فالقداح طبيب العيون هو فارسى كان يمارس هو وجماعته أنوعاً من الطقوس الخاصة بهم ثم ما لبثت ان ظهرت هذه الطقوس علناً وفرضت على المسلمين العرب ، فرفضها العرب، رفضاً إنصرفوا وفقه إلى الإبتعاد عن الحركة نفسها .

وهذا أكد أن أزمة الحركة القرمطية ليس أزمة الرمز فقط أى غياب قادة الحركة بل إن المسألة كانت أكثر خطورة حيث انعكست الممارسات الشعائرية على الأخلاق والتصرفات وأصبحت المسألة تتعدى الرمز إلى غياب أسلوب عملى واضح للدولة يتفق مع جملة القيم النبيلة التى نادى بها الاسلام .

واشارة إلى العوامل السابقة وعوامل لاحقة سوف نوضحها فإن القرامطة دخلوا مرحلة النهاية في منتصف القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) وما لبثوا أن زالوا عن مسرح الحياة في المشرق العربي من الناحيتين السياسية والعسكرية . واما من ناحية عقائدية فإن أفكارهم وجدت منفذاً في أوساط الجماهير الشعبية وذكر في كتاب «من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام» أن الجمهورية العربية الإشتراكية التى أسس قواعدها أبو سعيد الجنابي بالاحساء في القرن التاسع الميلادى قد بقيت آثارها حتى أوائل القرن الثامن عشر «الميلادى» ومن هذا أن القدسيات الفكرية لهذه الحركة مازالت موجودة حتى

اليوم عبر فرق لا سيما في سورية ولبنان وايران والهند وباكستان وفي بلاد الزنجبار « تانزانيا » .

كانت حروب القرامطة الوحشية الاخيرة دون سبب كافية أيضاً لأن توعز الدولة الفاطمية لقائدها العسكرى جوهر الصقلى إصدار بيان يستنكر فيه أعمال القرامطة ويحرض كافة المسلمين الوقوف ضدهم . وكانت حرب الرملة سنة 368 هـ 978م بأرض فلسطين هى بـداية النهاية بالنسبة للقرامطة .

فقد إنتشر العداء بعد هذه المعركة ضد القرامطة في جميع البلدان والتحريض على حمل السلاح ، حين أخذ نفرٌ ليس بقليل من اتباع القرامطة بالتراجع والانضمام الى جيش الوالى الفاطمى لمحاربة ديار القرامطة ومواقعهم الحصينة والقوية .

ومن العوامل الداخلية التى أضعفت القرامطة وادت الى ذهاب عزتهم واضمحلال قوتهم الانقسام الذى فرق أمرهم فيما بينهم وخاصة بعد موت أبي طاهر سليمان أخطرهم .

أما فيما يختص بقصة نهب الحجر الأسود من قبل القرامطة فكل الدلائل التاريخية الموثقة كانت القاسم المشترك حول هذه النقطة، ويؤكد عارف ثامر الذى عاصر تلك الفترة في كتابه «القرامطة» «فإن الاسماعيلية والفاطمية والقرمطية: أسماء ثلاثة تشكل إسماً واحداً لحركة واحدة نبعت من أصل واحد» وكان للقرامطة رأيٌ في نهب الحجر الأسود إلا أن هـــذا التبرير في ذلك الوقت كان ضعيفاًللغاية مما جعل النقمة عليهم تزداد يوماً بعد يوم وبصلابة قوية ضد كيان القرامطة. يقول كتاب« القرامطة » على لسان القرامطة إن الاسلام ألغى الأصنام وأمر النبى ـ عليه الصلاة والسلام ـ بهدمها وان الخليفة عمر بن الخطاب خاطب الحجر بقوله « والله إنى لأعلم أنك حجر لا تضرنى ولا تنفعنى ولكـــن رأيت رسول الله قبّلك وأنا هكذا » .
الواقع إن تبرير القرامطة لنهبهم للحجر الأسود لم يقنع أحد .

إن القرامطة كحركة ثورية ضد الدولة العباسية ومن قبلها الأموية لم ترد في أذهانهم فكرة تصرف أهوج

على هذا النحو. وإن هذا التصرف قامت به مجموعة تولوا الأمور في الدولة القرمطية آخر زمانها وأنهم قاموا بهذا في الوقت الذى ما كان يجب أن يكون ، فلم يجد القرامطة إلا هذا التبرير الضعيف .

إن جر الحجر الاسود من مكانه كان بمثابة القنبلة الموقوتة التى انفجرت ودمرت القرامطة وان صراعهم الذى يهدفون إلى البحث من خلاله عن هويتهم «هوية الدولة الإسلامية» وبهذه الكيفية قادهم إلى الهزيمة .

وبهذا يكون القرامطة «حركة ثورية إصلاحية» نصيبها في النهاية انفراط قوتها وفشلها وحتى نظرية الخلافة والتشيع التى كانت حجة القرامطة ضد الدولة الأموية والعباسية والتى تعتبر أقوى سلاح رفعه القرامطة في وجه الدولة تبت انها وسيلة للانقضاض على السلطان العربي عند لحظات الضعف فقط. فواقعياً أن أفكار القرامطة والتى ارست قوتهم تنصب داخل أساس الاشتراكية فطبقوا كثيراً من الجوانب الاشتراكية فكانت سبب قوتهم إلا أن أطماعهم وصراعاتهم قضت عليهم .

* عوامل خارجية *

عوامل خارجية

أما العوامل الخارجية والتى أدت إلى اضمحلال الحركة كدولة ونظام ومجتمع فإن المؤرخين يردون ذلك الى الظواهر السلبية التى عانوا منها في آخريات أيام الدولة وهى التالية : —

(أ) : ظهور دولة بنى بويه المناوئة للقرامطة ، فقـــد نجحت في جرهم إلى حروب جانبية خلقت لهم أعداء في كل جانب وخاصة مع الدولة الفاطمية في مصر .

(ب) : إنحصار الولاة والدعاة في منطقة محدودة وعدم الإهتمام بحدود الدولة فالنجاح الذى حققه القرامطة كان سلاحاً فعالاً لنهايتهم .

(ج) : قلة الأموال التى أخذت تتضاءل لديهم فلم يتمكنـــوا من الصرف على البرامج المنشودة مما أضعف موالاة الناس إليهم .

(د) : عندما شعرت بعض القبائل بضعف القرامطة

وبداية انهيارها مثل قبائل : بن عقيل وبنى تغلب ، أخذت هذه القبائل وغيرها في مهاجمة أطراف الدولة مثل القطيف وما جاورها وألبت العرب ضد القرامطة موضحة عيوبهم كنظام إجتماعى قد خالف التعاليم الإسلامية في كثير من القضايا مثل الزكاة .

ويذكر كتاب (القرامطة أول حركة اشتراكية في الاسلام) لـ طه الولى نتيجة مراجعة المؤلف لأغاب الكتابات حول القرامطة بأن سبب اخفاق القرامطة يعود الى العوامل السابقة مضافاً إليها أن هؤلاء لم يكن لديهم الوقت الكافي لتنظيم جهازهم العسكرى ، كما انه لم يكن لهم قيادة منظمة لا سيما بعد أن تخلوا عن كثير من الجوانب التنظيمية والحركية التى ساعدت سابقاً على إرساء دعائم القرامطة فوق ركامات من الممارسات الخاطئة في حق المجتمع العربي المسلم .

إن الدعوة الشعوبيـــة كانت المحور الرئيسى والقاسم الاكبر والمشترك للحركة القرمطية طيلة فترة من الزمن

كذلك ضاق الفاطميون ذرعاً بالقرامطة الذين أصبحوا يتأرجحون بين الولاء لبغداد وبين القاهرة مما دعى بالفاطميين الذين حموا القرامطة وزودوهم بالرعاية بعد ان ضعف نفوذهم أمام العباسيين الى التخلى عن القرامطة وخاصة بعد أن زاد غيهم في سفك الدماء والنصب وقطع طرق القوافل ونهب الأموال وسلبها .



الـزوال المـادى للقـرامطـة

الزوال المــادى للقرامطة

هذه جملة أسباب وغيرها أدت الى إنحسار مد القرامطة وتقاص نفوذهم حتى لم يبق لهم في أواخر القرن الرابع الهجرى إلا ولاية صغيرة على الشاطىء الشرقي للجزيرة العربية ولم يعودوا قادرين على قطع الطريق على أى كان .

ولهذا كانت نهاية القرامطة الحاسمة من الناحية المادية -- سياسياً وعسكرياً — في عهد الخليفة العباسى المستنصر بالله وقد مرت هذه النهاية من خلال مرحلتين : --

كانت أولى هاتين المرحلتين يوم طردوا من جزيرة أوال في البحرين ، فكانت هذه الهزيمة ذات أثر سلبي وسيء للغاية بالنسبة للقرامطة كقوة عسكرية ففشلت عند هذه المعركة كافة الخطط التى رسمها القرامطة للتقدم والتوغل الى داخل المجتمع العربي المسلم الذى كانت بعض رجالاته المتطرفة ترفض في كبرياء الانصياع للقرامطة .

ومن هذا المنطلق إستجاب والى البحرين وانضم الى العساكر العباسية ، فأصبح القرامطة محاطين بأعدائهم في شمالى الاحساء والذين انتصروا عليهم في معركة سنة 470 هجرية (1077 ـ 1078 م) وتعد هـذه الموقعة من المواقع الحاسمة في تاريخ الحركة القرمطية لأنها قضت على دولة القرامطة وألغت وجودها نهائياً من خارطة العالم الإسلامى في آسيا .

ولهذا لم يكد القرن الرابع الهجرى ينتصف حتى انتكب القرامطة وزالت تلك الهيبة من نفوس خصومهم ولم يعودوا أولئك الرجال المرهوبين في البدو والحضر

ولم يعد ذكر القرامطة يشير شيئاً عدى ماض ذهب وسجل قبل ذهابه حركة ثورية إسلامية إشتراكية احدثت تأثيراً يوماً ما . وقد قام بأداء دورهم في الشرق الإسلامى من بعدهم قوم آخرون حملوا أفكارهم وإنتحلوا جملة مبادىء القرامطة كمدخل لنجاح هؤلاء القوم في تحقيق أهداف خاصة ، إلا أن هؤلاء القوم وهم الاسماعيليون قد ضاق المسلمون شر أفعالهم الدموية . فقد استمروا

وعلى مدى قرنين من الزمن في ترويع المسلمين نتيجة تخبطهم وفق جملة ممارسات خاطئة لا تمت الى الإسلام بصلة . ويمكن القول انه عند هزيمة هؤلاء الإسماعيليين على أيدى التتار ثم المماليك فقد الاسماعيلون كما فقد القرامطة أنفسهم أهميتهم السياسية إلى الأبد وربما كانت الحملة التى قادها هولاكو على الشرق قد حطمت نهائياً الهيكل التنظيمى والآلة العسكرية للقرامطة . ومنذ ذلك لم يبق من أثر للقرامطة إلا تجمعات ضئيلة موزعة في الشام (سورية الطبيعية) والجزيرة العربية . وبصورة خاصة في فارس وكرمان وكذلك في الهند . إلا انه يبدو أن هناك بوادر إحياء لبعض المفاهيم القرمطية والخاصة بالمفهوم الإشتراكى حيث بدأت من جديد تظهر بوادر للقرامطة في تانزانيا وخاصة بعد كتابات جوليوس نيريرى الاقتصادية الاشتراكية مع كثير من التحريف والميل إلى التطبيق الماركسى .

شعبة المنهج والتعليمات

حركة اللجان الثورية

مكتب الاتصال باللجان الثورية

شعبة المنهج والتعميمات

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

طرابلس .. لحيا الهدية

حسن أبو يوسف اللويشي

حسن أبو يوسف اللويشي